احداثا غريبة صعبة التفسير . واخيرا يخرج من المستشفى بعد سلسلة من العذاب الجسدى والنفسي ، لا يقطعها سوى تعاطفه التدريجي مع ممرضته . وتواعده الممرضة على اللقاء، ويلتقي بها، ولكن اللقاء يثير كل مخزون كآبته ويفوت عليه نفحة النعمة المنتظرة . ويطوف بعد ذلك على الكنيسة والمحل التجاري والفندق فيجد انه خسر عمله وحل محله اناس أخرون .

وبالمقابل ، يكتشف ان كابليوك « الصهيوني » يشتغل بأنواع رخيصة من الاعمال المحرمة ، كالتهريب والرقيق الابيض ، وان وضعه المالي يتحسن تدريجيا ، وبذلك يصبح نقيض علي من ناحية النجاح الدنيوى . *

وبعد ان تكل قدما علي من البحث، يلجأ الى الطبيب الذى سبق ان عالجه ، فيجد له هذا عملا عجيبا هو نقل جثث موتى المستشفى الى مستودع الجثث . وسرعان ما اكتشف علي ان الجثث تسرق فرفض العمل . وبعد ذلك جرى الحاقه بعمل مخبري في منطقة نائية ، وهناك اكتشف – وياللهول – نوع العمل الجديد :عرق اللحم عن عظم الجثث واعدادها لبيعها بشكل هياكل عظمية . ويجد علي العمل مقرفا ومرعبا جدا ، ولكنه يصمد لكل شيء ويوفر بعض المال ، ويشتري دراجة« ياماها »ويصبح قادرا على القيام بنزه ايام العطل . وتعترضه عجوز معروقة ، ويتطور بينهما صراع مرير (ربما رمز الماضي التعيس جدا)،ويحاول قتلها بدراجته ، ولكنها تقاومه وتفلح اخيرا بالانقضاض عليه وتشهر عليه سكينا وتكاد تغمد النصل في جسمه لولا ان اخاه (وجهه الاخر) يأتي فجأة (من اللامكان) لينقذه . ولكن العجوز تصر على قتل علي وتظفر بذلك (لينتهي بمقتله مسلسل فوج معين من فلسطينيي التجربة الاولى) .

وينجو اخو علي من العجوز (كابوس الماضي) ويجد اخيرا عملا في مصنع ،وينخرط في صفوف العمال ويعشق « الزا » ابنة « فرنسيس » المسؤول العمالي ، ويصر الجميع على انه علي نفسه (فكرة تواصل النضال ؟ !) وينهمك العمال من اقرانه في مقارعة جنود الفاشية ويبلي « علي الجديد » بلاء حسنا . ويبدأ الافق بالانجلاء أمامه وتلوح تباشير الثورة وتتفتح سبل النضال .

التقطت عصا احد الجنود ، وتقدمت في الدماء لادرك راسا فاشيا ، وانا أصرخ ، ثم رحت اعدو مخترقا الحواجز صوب العمال ، ودخلت في القوة العادلة . كانت معركتي قد بدأت منذ زمن . والان ، علي ان اربح معركتي (ص ١٩٦ من الرواية) .

وتعمل الثورة على اطلاق الرصاص في كل مكان والهاب الدنيا (ضد البرجوازية الديمقراطية) و (الفاشية)ويظن « علي » ان خصمه انتهى ، ولكنه يلتقي « كابليوك » ويرى « ناتالي » بين يديه ذابلة ذاوية ، ويتابع « كابليوك » وينقض عليه لولا ان الشرطة تهب لنجدته (تدخل العالم لحماية الصهيونية) .

ويعود « علي » (أو اخوه ،لا فرق) الى بيته ، ويفتح الباب بحيلة (بعد ان كان كابليوك قد سلبه المفتاح) . ويمضي ايامه الباقية بانسجام كامل مع « الزا » و« فرنسيس »،ويظهر ان الا مر قد استتب له ، ولكن « كابليوك » يعود الى الظهور ويأخذ « علي » الدرس المستفاد من الرواية كلها : اليقظة الدائمة لان العدو لا يفتر .

* * *

هذا ما يقوله السرد الظاهرى . ولكن هناك سردا موازيا له على شكل مقاطع معترضه تعود بالقضية . الى اساسها الفلسطيني . ان الاهوال التي يلقاها « علي » ، والمشاعر التي تجيش في نفسه ، والتطورات التي تطرأ على تفكيره ، والخصومات التي تعترضه،والامال التي تراوده اخيرا ، كل ذلك يضرب جذوره في تطورات القضية الفلسطينية : كل ذلك رموز يقوم المؤلف بشرحها بلهجة تتراوح بين « التأملية » و « التقريرية » وهكذا يمكن ان تقرأ الرواية مستقلة من خلال مقاطع السرد الظاهري ، ويمكن ايضا ان تقرأ مستقلة من خلال مقاطع السرد التأملي او الباطني او اللاشعوري.ان « عليا » من خلال وقائع عمله في الغربة يتنكر طفولته في فلسطين وبراءته في التعامل مع «اليهود»، وانكشاف ضغينة

---

* هل تحتاج هذه الرموز الى تفسير ، خصوصا اذا لم ننس ان « عليا » يمثل الفلسطيني و« كابليوك » يمثل الصهيوني ؟